Nakheel Magazine
مجلة تراثية ثقافية
تصدر عن جمعية النخيل للفن والتراث الشعبي في رأس الخيمة

مَجَلَّة نَخِيل

Nakheel Magazine

مجلة تراثية ثقافية تصدر عن جمعية النخيل للفن والتراث الشعبي في رأس الخيمة

العدد الرابع والخمسون | السنة السابعة والعشرون

يونيو 2024 – ذو القعدة 1445 هـ

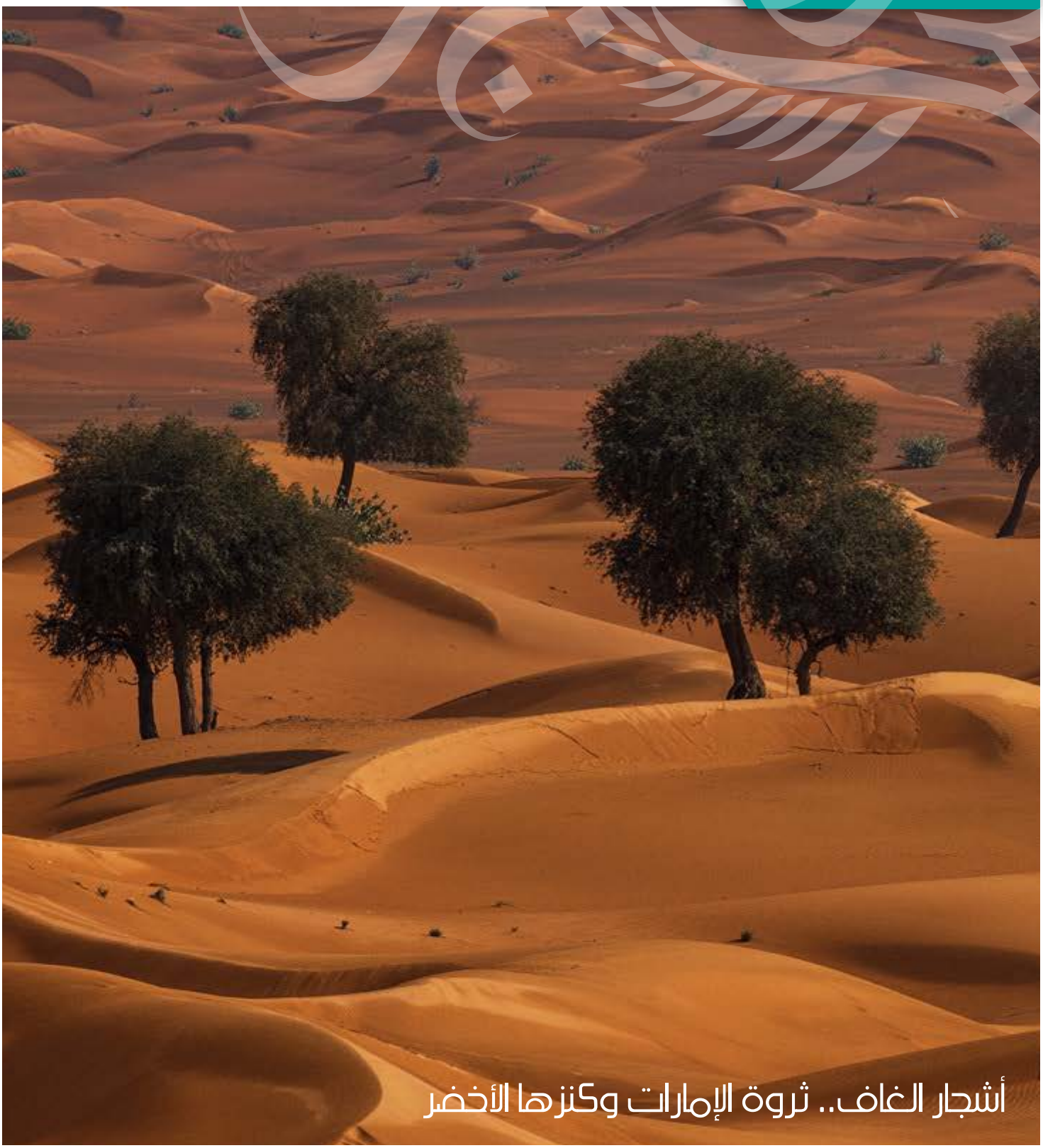

أشجار الغاف.. ثروة الإمارات وكنزها الأخضر

تجليات التناص في (ديوان السّمر) للشاعر محمد بن حاضر

بقلم: د. عبد الحكيم الزبيدي - الإمارات

يُعد الشاعر محمد بن خليفة بن حاضر المهيري (1945-2011م) من القامات الأدبية الثقافية الهامة في دولة الإمارات، فقد كان شاعراً متمكناً نظم الشعر الفصيح والنبطي، وكانت له مشاركات ثقافية وأدبية مهمة طيلة حياته. فقد كان من مؤسسي مجلة (المنتدى) الثقافية التي صدرت عام 1983م وكان من ضمن هيئتها التحريرية، كما كان أحد المؤسسين الرئيسيين لندوة الثقافة والعلوم بدبي التي أنشئت عام 1988م، وعمل نائباً لرئيس مجلس إدارتها من الدورات الأولى وحتى نهاية الثالثة سنة 1995م. وكان أحد أعضاء مجلس الأمناء لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية التي تأسست عام 1994م. وكان له مجلس أدبي يومي في شهر رمضان المبارك يقيم فيه جلسات أدبية وثقافية، يحضره كثير من الكتاب والأدباء والسياسيين والنشطاء في العمل الخيري والإنساني والاجتماعي (1).

تلقى محمد بن حاضر تعليمه الأساسي في دبي ثم أكمل تعليمه الإعدادي والثانوي بدولة قطر، ثم ابتعث للدراسة في المملكة المتحدة فدرس إدارة الأعمال متخصصا في شؤون الأفراد، ويعتبر من أوائل الخريجين المتخصصين في مجاله آنذاك. وعمل بعد تخرجه في عدة وظائف حكومية، ثم التحق بدورة متخصصة في السلك الدبلوماسي، ومن هنا كانت بداية حياته الدبلوماسية، وعمل في السلك الدبلوماسي قبل وبعد الاتحاد في سفارة الإمارات في لبنان وباكستان حتى عام 1981م حيث ترك العمل الدبلوماسي وتفرغ لأعماله التجارية الخاصة. وفي عام 1993م أصبح عضوا في المجلس الوطني الاتحادي عن إمارة دبي واستمر فيه حتى سنة 1999م (2).

لم ينشر محمد بن حاضر ديوان شعر في حياته، وبعد وفاته بعام أعد الأستاذ إبراهيم الهاشمي مختارات من شعره الشعبي نشرتها ندوة الثقافة والعلوم في دبي عام 2012م بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الندوة. ثم عكف صديقه الشاعر غازي مختار طليمات على إعداد شعره الفصيح وترتيبه وشرح مفرداته، ونشرته غاف عام 2022م في جزأين: الأول بعنوان: في موكب الحب والحياة، والثاني بعنوان: ديوان السمر (3)، وهو الذي سنتناوله في هذه المقاربة.

---

1 - الهاشمي، إبراهيم: محمد خليفة بن حاضر، مختارات من الشعر الشعبي، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، 2012م، ص 9-29
2 - المرجع السابق
3 - ابن حاضر، محمد خليفة: ديوان السمر، منشورات غاف، دبي، 2022م

التناص في شعره:

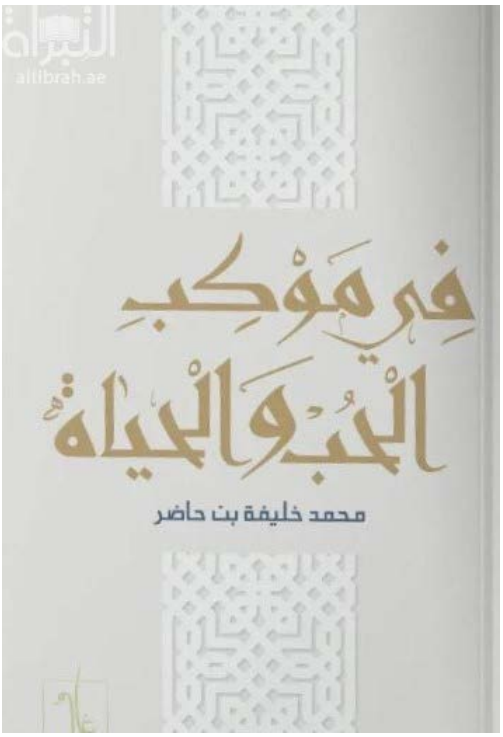

كان الشاعر محمد بن حاضر ذا ثقافة عالية، مطلعاً على الأدب العربي القديم والحديث، ولذا يكثر في شعره الاقتباس من الشعراء السابقين، وهو ما يُطلق عليه في النقد الحديث (التناص). ويُعرّف (جينيت) التناص بأنه "الحضور الفعلي لأحد النصوص داخل نص آخر" (4). ويأتي التناص في الأعمال الأدبية على شكلين: مباشر وغير مباشر أو تناص التجلي وتناص الخفاء (5). فالتناص المباشر أو الجلي، هو أن يقتبس الأديب النص بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص، وقد يضعها بين قوسين للدلالة على أنها مجلوبة، وقد يحيل إلى مصدرها أو لا يحيل. أما التناص غير المباشر أو الخفي فهو الذي يستنتج استنتاجاً ويستنبط استنباطاً من النص.

التناص مع الشعر القديم:

ورد التناص بشكليه المباشر وغير المباشر (الجلي والخفي) كثيراً في شعر محمد بن حاضر، سواء مع الشعر القديم أو الشعر المعاصر. وسنتناول أولاً ما ورد من التناص في شعره مع الشعر القديم.

التناص الجلي مع الشعر القديم:

من التناص الجلي مع الشعر القديم قوله: (ص 141)

تراه إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا فسيحَ المُحيَّا بِالبَشاشَةِ يَبْسِمُ(6)

ففي البيت تناص مع قول زُهير بن أَبي سُلمى (7):

4 - عبد السلام، مصطفى بيومي: التناص .. مقاربة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد 40، يوليو-سبتمبر 2011م، ص 91
5 - الجعافرة، ماجد ياسين: التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، 2003م، ص 15
6 - يبسم: كذا في الأصل، وفيه عيب من عيوب القوافي يسمى (سناد التأسيس)، وهو أن يكون بيت فيه ألف التأسيس، وهي ألف تلزم القافية وبينها وبين حرف الروي حرف، وبيت آخر غير مؤسس، مثل (يتجمَّل ويتجامل)
7 - فاعور، علي حسن: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص 92

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلُه

ويبدو من سياق القصيدة، أنها في مدح صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الوزراء حاكم دبي، ومطلعها:

تـأبّى الجـود إلا أن يجـود مُحمَّـدُ فمـا ضيـم مظلـومٌ ولا جـار ظالـمُ(8)
ولا سـارت الركبـان إلا بِذِكْـرِهِ كريـمٌ لـه في كل صقـع معالـمُ

وقد اقتصر الشاعر على الشطر الأول من بيت زهير، وهو الذي يشير إلى تطلق وجه الممدوح وفرحه بمن يزوره، دون أن يضمن الشطر الثاني الذي يدل على أن المادح قد قدم للحصول على عطاء الممدوح، فالشاعر لا يمدح الممدوح لعطائه بل لبشاشته وحسن استقباله لزائريه. وقد أجاد الشاعر في استخدام التناص وتوظيفه للمعنى الذي أراده.

ومن التناص الجلي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله يهجو من يصفهم بالجهل: (ص 65)

(قَـدَى بِعَيْنَيْـكَ أَمْ بِالعَـينِ عُـوَارُ عـده على أَمْ أَمْ ذَرَفَـتْ إِذْ خَلَـتْ مِـنْ أَهْلِهَـا الـدَّارُ؟)
أَنـتَ رَهْـنُ هُمـومٍ، لَسْـتَ تَعْرِفُهـا بِهـا رَمـاكَ زمـان، وهـو غَـدَّارُ ؟
لا ليـس ذاك ولا هـذا يؤرقـني كلا الفريقـين إقبـالٌ وإدبـارُ
لكنـه الجهـل أعيتـني مسـالكه إذ نابـني منـه إضـرارٌ وإنـكارُ

وهو في المطلع يقتبس مطلع الخنساء في رثاء أخيها صخر(9)، وقد وضعه بين قوسين. ولعل الشاعر اقتبس هذا المطلع ليوحي للقارىء والسامع أنه يرثي العقول التي ران عليها الجهل. فجاء التناص مناسباً للمعنى الذي أراده الشاعر، وأعطى القصيدة جمالاً وقوة.

ومن التناص الجلي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله: (ص 120)

عـادَتْ (سُـعادُ) فقلـبي بُلْبـلٌ ثَمِـلُ وعـاد بعـد الغيـاب الشـعرُ والغـزلُ
مَـرَّت (سُـعادُ) علـى (الكرنيـش) باسـمةً كأَنَّهـا مَلَـكٌ، بِالسِّـحْرِ مُكْتَحِـلُ
هَيْفَـاءُ مُقْبِلَـةً، عَجْـزَاءُ مُدْبِـرَةً خـدٌ أسـيلٌ، وألحـاظٌ بهـا كَسَـلُ
مِـنْ أيـن أسـفر هـذا البـدرُ سـاحرتي؟ وأيـنَ (كَعْـبٌ)؟ هـل الركبـان قـد وصلـوا؟

ففيه تناص جلي مع قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير(10)، وقد جعل الشاعر التناص هنا عكسياً، فبينما نجد سعاد كعبٍ قد (بانت) فإن سعاد ابن حاضر قد (عادت)، وإذا كانت سعاد كعب تركب الإبل، فإن سعاد ابن حاضر تمشي على (الكورنيش)، وفي هذا من المفارقة بين فتيات الأمس وفتيات اليوم ما فيه. وقد اقتبس الشاعر شطراً من قصيدة كعب وهي قوله (هيفاء مقبلةً عجزاء مدبرةً) ولكنه لم يضعه بين قوسين، إلا أنه ذكر اسم (كعب) في البيت الأخير ليدل على أنه اقتبس منه فلم يجد حاجة لوضع الشطر بين قوسين.

8 - في الأصل (نأبى) وهو خطأ مطبعي، صوابه ما أثبتناه، ليستقيم الوزن والمعنى
9 - طماس، حمدو: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م، ص 45
10 - فاعور، علي: ديوان كعب بن زهير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 60

ومن التناص الجلي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله: (ص 103)

حسناءُ مَنْ يا ترى بالبُعْدِ أَغْراكِ؟ عُودي إليَّ، فَإِنِّي رَهْنُ يُمناكِ
أنتِ العذابُ لقلبي، والثوابُ لَهُ فما أَمَرَّكِ في قلبي وأحلاكِ
لِمْ تبخلينَ على صَبٍّ بَكَى أَلَمَا؟ فأكرميهِ بِبَعْضٍ مِنْ عَطَايَاكِ
(الماءُ عندي مبذولٌ لشاربه وليس يرويكِ إلا مدمعي الباكي)

فالبيت الأخير، وقد جعله الشاعر بين قوسين، اقتباس من شعر الشريف الرضي(11):

الماءُ عندكِ مبذولٌ لشاربِهِ وليس يرويكِ إلا مدمعي الباكي

إلا أن الشاعر قد بدل كلمة (عندك) ووضع مكانها (عندي)، وكأنه يقول لمحبوبته إن عنده الماء الزلال لمن يطلبه، ولكنها لا ترويها إلا دموعه، وهو معنى طريف لم يُسبق إليه، حسب علمي. وبذلك أجاد الشاعر في استخدام التناص وتطويعه للمعنى الذي يريده.

والشاعر من المولعين بشعر المتنبي، وقد تأثر به في كثير من شعره، فمن التناص الجلي مع شعر المتنبي، قوله في قصيدة (لبنان): (ص 190)

طَغَى الخنوعُ، وعمَّتْ أَنَّةُ الحَزَنِ وساوَرَتْنا أفاعي الخُلْفِ والفِتَنِ
(يا أُمَّةً ضَحِكَتْ من جَهْلِها أُمَمُ) هامَتْ بأطلالِ مَجْدٍ دارسِ الدِّمنِ

ففي البيت الأخير تناص مع قول المتنبي(12):

أغايةُ الدِّينِ أن تُحْفوا شواربكم يا أمةً ضحكتْ من جهلها الأممُ

وقد غيّر الشاعر من مدلول التناص، فبينما كان عند المتنبي مقترناً بالفهم الخاطىء للدين وحصره في الشكليات بدلاً من جوهر الدين، نجد الشاعر يقرنه بالتغني بالأمجاد الذاهبة، والبكاء على الدمن والأطلال.

التناص الخفي مع الشعر القديم:

11 - فرحات، يوسف شكري: ديوان الشريف الرضي، دار الجيل، بيروت، 1995م، ج2، ص 99
12 - البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، ج4، ص 281

من التناص الخفي مع الشعر القديم قوله: (ص 82)

قُـلْ لِمليحـة في الخمـارِ الأَحْمَـرِ لا تَجْهـرِي إنْ تَظْلِـمي وتَسَـتَّري
مُكنّـتِ مِـن حُـبِّ القُلـوبِ جميعِهـا فَمَلَكَتِهـا بتجـبرٍ وتكـبرِ

ففي البيت الأول تناص مع البيت المشهور لمسكين الدارمي(13):

قـل للمليحـةِ في الخمـارِ الأسـودِ مـاذا أردتِ بناسـكٍ متعبـدِ

إلا أن الشاعر يكتفي بالتناص مع الشطر الأول من بيت مسكين، دون أن يتناص معه في المعنى وهو أن المحبوبة قد جعلته يعود عن نسكه وتعبّده. ولعل الخمار الأحمر الذي كانت تلبسه المحبوبة قد استدعى بيت مسكين الدارمي إلى مخيلة الشاعر فاستعان به في مطلع قصيدته.

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله: (ص 188)

أَسَـرَتْني مَريضـةُ الأَجْفـانِ بشـباكٍ مـن غنجهـا الفتّـانِ
تَتَحَـدَّى الحِسَـانَ مِـنْ كُلِّ جِنْـسٍ بـرواءٍ مـن وجههـا الحسَّـانِ

ففي مطلعها ووزنها ورويّها تناص خفي مع قول محيي الدين بن عربي(14):

مـرضي مـن مريضـةِ الأجفـانِ علـلاني بذكرِهـا علـلاني

إلا الشاعر لم يتناص إلا مع وصف المحبوبة بأنها (مريضة الأجفان) كناية عن فتورها، جاء في لسان العرب: "وعين مَريضةٌ: فيها فُتور"، ولم يستخدم الجناس بين (مرضي) و(مريضة الأجفان)، وإنما جعلها (تأسره)، وبهذا استطاع الشاعر أن يقتبس من البيت ما يطعم به بيته من جميل الوصف، دون أن يتناص معه تناصاً كاملا.

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله يهجو من يصفهم بالطبول الذين لا عقول لهم: (ص 118)

تكاثـرتِ الظُّنـونُ علـى فـلانٍ فـلا يـدري فـلانٌ مـا يقـولُ
أسـاطينٌ إذا لاحـتْ تراهـا ولكـن لا تُسـاندُها عقـولُ
طبـولٌ تدعـي أدبـاً وعلمـاً وأسـوأ مـا يُحـاوِرُك الطبـولُ

وفي المطلع تناص مع قول الشاعر العربي القديم، الذي جرى مجرى الأمثال:

تكاثـرت الظبـاءُ علـى خِـراشٍ فمـا يـدري خِـراشٌ مـا يصيـدُ

13 - الجبوري، عبد الله والعطية، خليل إبراهيم: ديوان مسكين الدارمي، مطبعة دار البصرى، بغداد، 1970م، ص 30
14 - المصطاوي، عبد الرحمن: ديوان ترجمان الأشواق للشيخ الإمام محيي الدين بن علي ابن العربي، دار المعرفة، بيروت، 2005م، ص 100

وقد استبدل الشاعر (الظنون) ب(الظباء)، إشارة إلى كثرة الظنون التي تسيطر على هذا الشخص، الذي عفّ عن ذكر اسمه، كما هي عادته في الهجاء، حيث لا يذكر اسم الشخص الذي يهجوه وإنما يذكر وصفه، مما يدل على عفته وسمو أخلاقه وأنه لا يهجو أشخاصاً بأعيانهم وإنما يهجو سلوكاً مشيناً أو خلقاً سيئاً.

ومن التناص الخفي مع الشعر القديم، أيضاً، قوله في قصيدة بعنوان (دع المدح) يهجو فيها شخصاً جامله بالمديح والإطراء: (ص 124)

دعِ المدحَ والإطراءَ، لَسْتُ بِأَهْبَلِ وَلَسْتُ براضٍ عن ثناءٍ مُجمَّلِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ ضبّاً بقفرةٍ ولو شاء سوّاني وليداً لتتفلِ
ولو شاءَ ربي كنتُ بالطَّبلِ ضارباً أو العودِ والطنبورِ في كل محفلِ
ولكنني حُرٌّ، وللحُرِ مَسْمَعٌ نَفُورٌ مِن الأَعْشَى السَّؤُولِ وَجَرْوَلِ

ويبدو أن هذا الشخص كان شاعراً مدحه بأبيات رأى فيها الشاعر أنها غير صادقة، وأن ناظمها يتكسب من ورائها، فخاطبه بهذه الأبيات مشبهاً له بالشاعرين الجاهليين الأعشى والحطيئة (جرول) اللذين كانا يتكسبان بشعرهما. وفي البيتين الثاني والثالث تناص مع قول طرفة بن العبد في معلقته (15):

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بن خالدٍ ولو شاء ربي كنتُ عمروَ بن مرثدِ
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني بنونَ كرامٌ سادةٌ لمسوّدِ

إلا أن الشاعر هنا عكس التناص وجعله في الحقير من الحيوان كالضب والثعلب (التتفل)، أو صاحب المهن الحقيرة من البشر كالضارب بالطبل أو الضارب بالعود والطنبور. وكأنه يقول لمن مدحه أن ما وصلتُ إليه من مكانة إنما هو من نعم الله عليّ التي لا يد لي فيها، فلو شاء، سبحانه، لكنت حيواناً أو إنساناً فقيراً، وهذا في رأيي يدل على تواضعه.

ومن التناص الخفي مع شعر المتنبي، قوله يهجو زمانه: (ص 196)

أرى ما تَرَى عَصْرًا - لَكَ اللهُ - خاوياً بكل بعيدِ الهم ما انفك كابيا

ففي البيت تناص خفي مع قول المتنبي (16):

لحا الله ذي الدنيا مُناخاً لراكبٍ فكل بعيد الهمِّ فيها معذّبُ

وقد ضمّن الشاعر وصف (بعيد الهم) في بيته، وتناص معه في المعنى، فكل إنسان ذو همة عالية هو (معذّب) حسب وصف المتنبي، و(كابٍ) حسب وصف ابن حارب، وكلا الوصفين متقاربان في المعنى.
ومن التناص الخفي مع شعر المتنبي، أيضاً، قوله يهجو أهل زمانه: (ص 112)

فقد جربتُهم نَظَرًا وسَمْعًا وقد خالطتُهم عما وخالا
صغارٌ كلُّهم قَوْلًا وفعلًا وأشباهٌ، وإن لاحوا رجالا

15 - ناصر الدين، مهدي محمد: ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م، ص 27
16 - البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، ج1، ص 304

فَأَعْرَفُهم يظُنُّ (اليُولَ) بأسًا وإقدامًا بِهِ يَغْشَى القتالا
وأرْجَلُهم يقولُ: (اليولُ) حزمٌ إليه إذا دعاه العي مالا
وأَكْرَمُهُم سَفِيهٌ لا يُجارى على أمثاله جهلا تعالى
وأشْجَعُهم إذا ما لاحَ خَطْبٌ رَمَى فِي ثَوْبِهِ سَلْحًا وبالا

ففي أبياته نَفسٌ من قول المُتَنَبّي(17):

أَذُمُّ إلى هَذا الزَمانِ أُهَيلَهُ فَأَعلَمُهُم فَدمٌ وَأَحزَمُهُم وَغدُ
وَأَكرَمُهُم كَلبٌ وَأَبصَرُهُم عَمٍ وَأَسهَدُهُم فَهدٌ وَأَشجَعُهُم قِردُ

ويتجلى التناص من خلال استخدام الشاعر لصيغة أفعل التفضيل (أعرَفهم، أرجلَهم، أكرمَهم، أشجعَهم)، اقتباساً من قول المتنبي (وأَكرَمُهُم، أَبصَرُهُم، أَسهَدُهُم، أَشجَعُهُم)، واستخدام المفارقة بين الصفات التي يتظاهرون بها وحقيقتهم.

التناص مع الشعر المعاصر:

وكما تناص الشاعر مع الشعر العربي القديم نجده أيضاً يتناص في شعره مع أبيات وقصائد من الشعر المعاصر، وسنتناول أمثلة من ذلك في السطور التالية.

التناص الجلي مع الشعر المعاصر:

فمن التناص الجلي مع الشعر المعاصر قوله: (ص 101)

يا ليتني نَسَمَاتُ صُبْحٍ مُشْرِقِ بِشَذَا الرِّياضِ تَسَرْبَلَت بِتَرَفّقِ
خطرت على خدٍ أسيلٍ رائعٍ وعلى جبينٍ واضحٍ مُتَالقِ
(يا ليتني لِصٌ لأسرِقَ في الضُّحى) نظرات طَرْفٍ ناعِسٍ مُتأنِّقِ

ففي الشطر الأول من البيت الأخير تناص جلي مع قول الشاعر إيليا أبوماضي(18):

17 - المرجع السابق، ج2، ص 92-93
18 - أبوماضي، إيليا: الجداول، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 1979م، ص 71

يـا لَيتَـني لِـصٌّ لِأَسـرقَ في الضُـحى سِـرَّ اللَطافَـةِ في النَسـيمِ السّـاري
وَأَجُـسَّ مُؤتَلَـقَ الجَمـالِ بِإِصبَعـي في زُرقَـةِ الأُفـقِ الجَميـلِ العـاري

وقد جعله الشاعر بين قوسين للدلالة على أنه مقتبس وليس من شعره. وقد اكتفى الشاعر بأخذ شطر من بيت أبي ماضي وأضاف إليه من إبداعه وخياله. وإذا كان أبوماضي تمنى لو أنه كان لصاً ليسرق سرّ لطافة النسيم، فإن ابن حاضر تمنى لو أنه كان لصاً ليسرق نظرات المحبوبة.

والشاعر في جميع قصائد الديوان يضمّن شطر بيتٍ أو بيتاً كاملاً على أكثر تقدير، ولكنه في إحدى قصائده نراه قد ضمّن قصيدته سبعة أبيات لشاعر معاصر هو الشاعر أحمد محرم (1877–1945)، دون أن يضعها بين أقواس أو يشير إلى أنها منقولة. وحيث إننا لا نعلم إن كان الشاعر قد نشر تلك القصيدة في مجلة أو صحيفة أم لا، فإننا لا نستطيع أن نحكم على تصرفه، ولعل الشاعر تأثر بتلك القصيدة فعارضها بأبيات واحتفظ بنسخة منها ضمن محفوظاته، فجاء جامع الديوان فظنها من شعره وضمها إلى قصيدة الشاعر. القصيدة بعنوان (بنو الدنيا)، ومطلعها: (ص 130)

سَـأَلْتَ، فحـارَ عَقْلـي في السُـؤالِ أَنَنْتَبِـذُ الأَنـاسيَ أم نـوالي؟
فَقُلْـتُ – وقـد بَلَـوْتُ بَـني زمـاني مقالـة مُنْصَـفٍ لِلْحَيْـفِ قـالي
وَمَـن يَصحَـب بَـني الدُنيـا يَجِدهُـم –وَإن صَـحِبَ السَـلامَةَ– كَالسُـلالِ
صَـبَرتُ عَلـى المَكارِهِ صَـبرَ حُـرٍّ تَميـلُ بِـهِ الأَنـاةُ عَـنِ المَـلالِ
فَلَـم أَصـدع بِخُلـقٍ جـاهِلِيٍّ وَلَـم أَجـزَع لِحادِثَـةِ اللَيـالي
وَفـي الأَخـلاقِ إِن عَظُمَـت دَليـلٌ عَلـى عُظَـمِ المَكانَـةِ وَالجَـلالِ
وَلَـولا مَوقِـفٌ لِلنَفـسِ عـالٍ لَمـا دانـت لِأَهليهـا المَعـالي
تَخَـلَّ عَـنِ الدَنِيَّـةِ وَاجتَنِبهـا وَلا تُـؤثِر سِـوى شَـرَفِ الفِعـالِ
وَنَفسَـكَ لا تَبِـع إِن كُنـتَ حُـرّاً بِـزائِلِ مَنصِـبٍ وَخَسـيسِ مـالِ

والأبيات، فيما عدا البيتين الأول والثاني، هي للشاعر أحمد محرم، من قصيدة مطلعها (19):

أَتَنقِـمُ مـا يُريبُـكَ مِـن خِـلالي وَتُنكِـرُ مـا يَروعُـكَ مِـن مَقـالي

وقد ضمّن ابن حاضر سبعة أبيات منها في قصيدته كما هي، وغيّر في بيتين منها، هما قوله:

فَلَـم أَصـدع بِخُلـقٍ جـاهِلِيٍّ وَلَـم أَجـزَع لِحادِثَـةِ اللَيـالي

وفي قصيدة محرم:

فَلَـم أَجهَـل لِخَلـقٍ جـاهِلِيٍّ وَلَـم أَجـزَع لِحادِثَـةِ اللَيـالي

19 - الموسوعة الشعرية: https://poetry.dctabudhabi.ae/#/poems/49302

وقوله:

وَلَــولا مَوقِــفٌ لِلنَفــسِ عــالٍ لَمــا دانــت لِأَهليهــا المَعــالي

وفي قصيدة محرم:

وَلَــولا مَوقِــفٌ لِلنَفــسِ عــالٍ لَمــا ســيقَت لِأَهليهــا المَعــالي

ولعل الشاعر أراد التشابه في الجرس بين (أصدع) و(أجزع)، والتضاد بين (دانت) و(المعالي)، أو أنه دونها من ذاكرته.

التناص الخفي مع الشعر المعاصر:

ومن التناص الخفي مع الشعر المعاصر قوله، في فتاة اسمها (بيداء): (ص 189)

(بيــداءُ) رقّي للرقيــقِ العــاني وترفقــي بجوانــحي وجنــاني
أَنَــا مُــذْ رَأَتْ عَيْنــايَ هُدْبَــكِ لَــمْ أَزَلْ شِــلُوا أَشــلَّ مــن الفتــور أعــاني
فلحاظــكِ السَّــكْرَى ذَهَــبْنَ بِقُــوَّتِي وعَقَــدْنَ مِــن بعــد اللقــاء لســاني

ففي المطلع والوزن تناص مع قول الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن(20):

ســمراءُ رقّــي لــلعليل الباكــي وتــرفقي بــفتى مُــناه رضــاكِ

وهي من أبيات جميلة غنتها المطربة اللبنانية هيام يونس، وقد استغل الشاعر التشابه في النغم بين (سمراء) و(بيداء) فصاغ قصيدته على منوالها.

الخاتمة:

وهكذا استعرضنا كيف استخدم الشاعر محمد بن حاضر التناص بشكليه الجلي والخفي مع الشعر القديم والمعاصر، ورأينا كيف أحسن توظيفه لتعميق الدلالة على المعاني التي أرادها، مما يدل على سعة اطلاعه على الموروث الشعري العربي قديمه وحديثه.

20 - حسن، يحيى توفيق: أودية الضياع، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، 1983م، ص 7

المراجع:

- ابن حاضر، محمد خليفة: ديوان السمر، منشورات غاف، دبي، 2022م
- أبوماضي، إيليا: الجداول، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 1979م
- البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م
- الجبوري، عبد الله والعطية، خليل إبراهيم: ديوان مسكين الدارمي، مطبعة دار البصرى، بغداد، 1970م
- الجعافرة، ماجد ياسين: التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، 2003م
- حسن، يحيى توفيق: أودية الضياع، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، 1983م
- طماس، حمدو: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م
- عبد السلام، مصطفى بيومي: التناص .. مقاربة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد 40، يوليو-سبتمبر 2011م، ص 63-103
- فاعور، علي حسن: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م
- فاعور، علي: ديوان كعب بن زهير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م
- فرحات، يوسف شكري: ديوان الشريف الرضي، دار الجيل، بيروت، 1995م
- المصطاوي، عبد الرحمن: ديوان ترجمان الأشواق للشيخ الإمام محيي الدين بن علي ابن العربي، دار المعرفة، بيروت، 2005م
- الموسوعة الشعرية: https://poetry.dctabudhabi.ae/#/poems/49302
- ناصر الدين، مهدي محمد: ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م
- الهاشمي، إبراهيم: محمد خليفة بن حاضر، مختارات من الشعر الشعبي، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، 2012م